التمايز النوعي والتنشئة الأسرية واقع وتحولاته في الجزائر

(مقاربة اجتماعية و ديمغرافية عن طريق دراسة ميدانية لعينة من الأسر الجزائرية)

الدكتورة : عميرة جويدة جامعة البليدة

المقدمة :

إن الاهتمام بموضوع الأسرة، وتحديدا منه، كما يظهر في عنوان هذه المقاربة البحثة، بموضوع التمايز النوعي في أصول تنشئة الأولاد و في واقع تغيراته بالجزائر هذا المجتمع الشديد التنوع في التركيبة الاجتماعية من حيث التمايز الطبقي أو التمايز الثقافي التعليمي والحضري، أو حتى على مستوى التمايزات الثقافية التي طبعته تاريخيا، لهذا لا يمكننا أن نقارب هذا موضوع إلا من خلال وعينا إلى أن هذه التركيبة المجتمعية المتنوعة التي وصفناها، ومع تفاوت تأثير أفرادها بعمليات التغيير، قد تسببت في إنتاج أنماط متنوعة وأحيانا متناقضة من أشكال الأسر في مجتمعنا الحالي مع اختلاف قيمة الطفل فيها.

ولا يمكن أن نقارب موضوع التغير في نمط التنشئة الأسرية للأولاد على أساس النوع إلا من خلال المقاربة الميكرو سوسيولوجية لأنماط الأسر في الجزائر ومن خلال قياس مدى تأثر أفرادها خاصة الأم بعمليات التثاقف.

واللجوء للمقاربات الميكرو سوسيولوجية غايته الأساسية تكمن في محاولتنا رصد التغيرات الفعلية التي يشهدها نظامنا العائلي الأبوي. فالمقاربة الميكروسوسيولوجية هي التي ستمكن ووفق تصورنا، من فهم واقع هذا النظام اليوم بصراعاته و تغيراته الجوهرية التي تطال بنية نظامه التقليدي.

ورغم حدوث العديد من التغيرات الاجتماعية في الجزائر خاصة فيما يتعلق بوضع الأسرة عامة و المرأة خاصة، إلا أنه مازال هناك ميل نحو تفضيل إنجاب الذكور في الأسرة، هذا لأن البناء الاجتماعي للأسرة فيها لازال هو بناء للأسرة الأبوية حيث يمثل فيها الذكور مركزا أعلى وقوة اقتصادية واجتماعية للعائلة، ويحقق الأبناء الذكور نوعا

من الضمان الاجتماعي لوالديهم. إن الخصوبة هي العامل الرئيسي لنمو السكان في أي مجتمع إلا أن معدلاتها تختلف من مجتمع إلى آخر ومن فئة سكانية لأخرى داخل نفس المجتمع و ذلك لأن معدل الخصوبة يتأثر بالمستوى التعليمي، دخل الأسرة، نمط الأسرة... الخ. كما أنها تتأثر بالقيم الاجتماعية في المجتمع وغيرها من العوامل التي قد تؤثر عليها سلبا أو إيجابا.

ولقد بدأت معدلات الخصوبة في الانخفاض بدخول المرأة في الحياة العامة حيث أدى ذلك إلى حدوث تغيرات في البنى الاجتماعية فبعدما كان دورها ينحصر في الإنجاب وتربية الأطفال أصبحت الآن تتطلع إلى آفاق مستقبلية لا تنحصر فقط في الإنجاب بل تتعداها إلى التعليم و العمل، الشيء الذي صاحبه تفتح في الأفكار وتغيير بعض المفاهيم وتطوير العلاقات الأسرية. فبعدما كانت المرأة تعتقد أن كثرة الأطفال قد تحصنها من الطلاق، تيقنت مثلا أن نوعيتهم ورفاهية معيشة أسرتها هي التي تحصنها من جميع المشاكل الاجتماعية.

لكن دراسة محددات الخصوبة أكثر صعوبة من دراسة محددات الوفيات، نظرا لأن الأولى هي محطة لعوامل اجتماعية واقتصادية و ثقافية معقدة متشابكة يصعب منها الخروج برأي مشترك واحد كما ينتظران تكون عليه في المستقبل، لهذا عندما تحدث جورج تابنوس عن دراسة الخصوبة ومنهجيتها قال، خارج العناصر الديموغرافية الحقيقية تبقى مشكلة محددات الخصوبة مرتبطة بتصرفات الفرد، و هي تصرفات يصعب السيطرة عليها لأنها صادرة عن الإنسان وهو لا يثبت على حال.

في ضوء هذا وغيره مما يضيق المقام عن التفصيل فيه كان موضوع هذه الدراسة الميدانية يبحث عن مدى تغير قيمة جنس الطفل في الأسرة بالمجتمع الجزائري و أسباب ذلك ؟ ومدى تمييز الأمهات في تنشئة الأبناء حسب جنسهم ؟ وبهذا فقمنا بوضع الافتراضات التالية :

* كلما كان سن الأمهات متقدما كلما زادت رغبتهن في إنجاب الذكور وميزن أكثر في عملية تنشئة الأبناء حسب الجنس.

* ارتفاع المركز الاجتماعي للأمهات يقلل من رغبتهن في إنجاب الذكور والتفريق في تنشئة الأبناء حسب الجنس.

* انخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة يزيد من رغبة الأمهات في إنجاب الذكور ويبلغن في عملية التفريق في تنشئة الأبناء.

المنهجية المتبعة في الدراسة :

إن ميدان بحثنا هو ولاية الجزائر والوحدة الإحصائية للبحث كانت المرأة المتزوجة والتي أنجبت طفلا واحد على الأقل وقت التحقيق، وتقيم كمقيمة دائمة بالجزائر العاصمة.

أما عن عينة بحثنا فكانت العينة العرضية والتي هي ضمن العينات الغير عشوائية وهذا النوع من العينات فرضه علينا مجتمع بحثنا الأم وذلك نظرا لانعدام أيطار المعاينة وهو عدد النساء المتزوجات والمنجبات فعلا أي غير عقيمات في ولاية الجزائر.

إذا تماشيا مع الإمكانيات الزمنية لهذه الدراسة ثم استخدام العينة غير عشوائية بدل الحصر الشامل لمجتمع الدراسة ككل أي استخدام طريقة تصميم صفات الجزء على الكل باستعمال نسبة من العدد الكلي لحالات تتوفر فيهم خاصيات نهتم بها أو وفق متطلبات وأهداف الدراسة.

وبعد ما تم تحديدنا واختيارنا للمجال المكاني و البشري بقي علينا تحديد الفترة الزمنية لإجراء ا لبحث وكانت بالفعل مابين 1- 20 جانفي2009. ثم قمنا بتوزيع الاستمارات فبلغ عدد عينتنا حوالي 260 امرأة. لقد شملت الاستمارة عدة أسئلة مغلقة لتسهيل عملية الإجابة وعدة أسئلة مفتوحة لإعطاء فرصة كافية للتحدث حول الموضوع وإعطاء رأيهن في الظاهرة وكذلك للوصول إلى نتائج كنا نجهلها في السابق ،كما قمنا بإعطاء ترميز مسبق للأسئلة لتسهيل عملية تفريغ البيانات فيما بعد.

أما عن المنهج المتبع في هذه الدراسة فكان المنهج الإحصائي إذ ساعدنا في جمع البيانات وترتيبها وكذا تبويبها في جداول بسيطة ومركبة ثم تحليلها وتفسيرها وهذا وفقا للمعطيات الإحصائية المتحصل عليها من خلال الدراسة الميدانية للموضوع، مما مكننا من الوصول إلى الاستنتاجات في فهم واقع هذه الظاهرة.

نتائج الدراسة : تبعا للفرضية الأولى التي مفادها أنه كلما سن الأمهات متقدما كلما زادت رغبتهن في إنجاب الذكور وميزن أكثر في عملية تنشئة الأبناء حسب الجنس. ثم إنجاز الجداول التالية:

جدول رقم -1- يمثل العدد الحقيقي للأبناء

عدد الأطفال الحقيقي	ك	%
1	32	12.31
3-2	100	38.46
5-4	70	26.92
6 فاكثر	58	22.31
المجموع	260	100

من الجدول نلاحظ أن أغلب أفراد العينة أنجبن مابين 2-3 أطفال بنسبة 38.46% تليها نسبة اللواتي أنجبن مابين 4-5 أطفال بنسبة 26.92% وفي الأخير نسبة 12.31% ممن أنجبن طفل واحد فقط. (ونشير علما أن 20 امرأة أنجبت طفلا واحدا من جنس الذكور و 12 امرأة أنجبت بنت واحدة).

هذه النتائج مقاربة لنتائج المسح الوطني حول صحة الأسرة لسنة 2002 حيث بلغ المؤشر التركيبي للولادات ISF طفل لكل امرأة بعدما كان قبيل المصادقة على البرنامج الوطني للتحكم في النمو الديمغرافي 1983 حوالي 6.37 طفل لكل امرأة.وإذا ماقرنا هذا العدد بعدد الأطفال الذي يرغبن في إنجابهم نجد أن العدد المرغوب من الأطفال فاق العدد الحقيقي حيث بلغت نسبة من رغبن في إنجاب مابين 4-5 أطفال حوالي 40.77 % في حين بلغت نسبة من رغبن في إنجاب أكثر من 6 أطفال 29.23 % كما يبينه لنا الجدول رقم (2) أدناه.

وقد يرجع هذا الفرق إلى سببين أولهما هو أن حوالي 23.08 % من السيدات المستجوبات لم تكملن بعد حياتهن الإنجابية فبمكانهن الوصول إلى عدد المرغوب فيه من الأبناء، هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد أن النساء المتقدمات في السن

اعترضتهن مشاكل اقتصادية واجتماعية حالت دون إنجابهن العدد الذي كن ترغبن في إنجابه.

جدول رقم -2- عدد الأطفال المرغوب إنجابه

العدد المرغوب	ك	%
1	2	0.77
3-2	76	29.23
5-4	106	40.77
6 فأكثر	76	29.23
المجموع	260	100

ولتفصيل أكثر في جنس الأطفال الذين كن ترغبن في إنجابهم وقفنا عند الجدولين التاليين :

جدول رقم-3- يبين علاقة سن المراة بعدد الأطفال الذكور اللواتي كانت ترغب في إنجابهم.

عدد الذكور / السن	1-0		3-2		5-4		6 فأكثر		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
25-15	6	50	6	50	-	-	-	-	12	100
35-25	24	32.43	48	64.86	2	2.10	-	-	74	100
45-35	8	14.81	44	81.48	2	3.70	-	-	54	100
55-45	4	5.40	60	81.08	10	13.51	-	-	74	100
65-55	2	0.55	18	50	10	27.78	8	22.22	36	100
75-65	-	-	2	33.33	4	66.67	-	-	6	100
85-75	-	-	2	50	2	50	-	-	4	100
المجموع	44	16.92	178	68.46	30	11.54	8	3.07	260	100

من الجدول نلاحظ أن أغلب أفراد عينتنا كن ترغبن في إنجاب مابين 2-3 أطفال بنسبة 68.46% مقابل فقط 3.07 % كن ترغبن في إنجاب أكثر من 6 أطفال. وعندا إدخالنا لمتغير سن الأم نجد أن الأمهات المتوسطات في السن أي مابين 35-55 سنة هن اللواتي واضبن الاتجاه العام للجدول إذ بلغت نسبة من رغبن في إنجاب مابين 2-3 أطفال 81.25 %

في حين نجد أن الأمهات الصغيرات في السن رغبن في إنجاب طفل أو طفلين على الأكثر من الجنس الذكري بنسبة 100 % ومن جهة أخرى نجد أن أكثر من نصف أي حوالي 52.17 % من الأمهات المتقدمات في السن رغبن في إنجاب أكثر من 4 ذكور وهذا يبين لنا أن لسن الأمهات تأثير بالغ الأهمية في عدد الذكور المرغوب إنجابه فكلما ارتفع سن الأم كلما ارتفع عدد الذكور المرغوب إنجابهم والعكس صحيح.

وإذا ما عرجنا للجنس الأخر آلا وهو الإناث نقف عند الجدول أدناه حيث نلاحظ أن أغلب الأمهات المستجوبات ترغبن في إنجاب مابين 2-3 بنات بنسبة 63.08 % مقابل فقط نسبة 0.77 كن ترغبن في إنجاب أكثر من 6 بنات ولمعرفة تأثير سن المرأة على هته الرغبة نجد ذوات السن المنخفض رغبن في إنجاب طفلة واحدة بنسبة 46.51 % لمن تراوح سنهن مابين 15-35 سنة في حين اللواتي تراوح سنهن مابين35-65 سنة فأغلبهن رغبن في إنجاب مابين 2-3 بنات بنسبة 69.51 % أما المتقدمات في السن نجدهن كن ترغبن في إنجاب أكثر من 4 أطفال بنسبة 30.43 % كما هو مبين في الجدول أدناه.

إن هذا الاختلاف في عدد الأبناء خاصة الذكور منهم يرتفع عند الأمهات اللواتي تقمن مع الأولياء أي ضمن الأسر الموسعة بنسبة 63 %. إن التصارع الحالي في العائلة الجزائرية بين تيارين، الأول هو الحفاظ على الأدوار والمكانة ذات النمط التقليدي والثاني نتاج ديناميكية تحصيل للقيم العصرية، كل واحد منهما يبحث على إزالة الآخر قصد الإبقاء على ذروته كنموذج مهيمن من أجل ذلك يتم تطوير استراتيجيات قصد فرض هيمنتهم على تنظيم العائلة.

وتعد المعارضة جد عنيفة نظرا لكونها تجعل في المعارضة معالم للهويات مرتبطة بنسقين معياريين مختلفان ذلك الذي يرتكز على المساواة في الحقوق والحظوظ بين الأفراد كذوات مسئولة ومستقلة، والآخر يرتكز على نحن جمعي/مشترك تسلطي وقديم.لهذا نجد عدم وجود اختلاف في جنس الطفل المرغوب إنجابه عند الأمهات الصغيرات في السن ذلك لوصولهن لدرجات علمية متقدمة و كذا نتيجة التحضر والتدين الذي بلغن إياه عكس الأمهات المتقدمات في السن فأغلبهن أميات أو لهن مستويات تعليمية متدنية وعانين في الغالب كما جاء على لسانهن من ظلم الرجل.

جدول رقم-4- يبين علاقة سن المراة بعدد الأطفال الإناث اللواتي كانت ترغب في إنجابهم.

عدد الإناث / السن	1-0		3-2		5-4		6فاكثر		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
25-15	6	50	6	50	-	-	-	-	12	100
35-25	34	45.94	40	54.05	-	-	-	-	74	100
45-35	12	22.22	40	74.07	2	3.70	-	-	54	100
55-45	12	16.23	48	64.86	14	18.92	-	-	74	100
65-55	2	5.55	26	72.22	6	16.67	2	5.55	36	100
75-65	-	-	2	33.33	4	66.67	-	-	6	100
85-75	-	-	2	50	2	50	-	-	4	100
المجموع	33	12.69	164	63.08	28	10.77	2	0.77	260	100

جدول رقم-5- يبين مدة الرضاعة الطبيعية حسب الجنس

جنس الطفل / مدة الإرضاع بالأشهر	الذكور		الإناث	
	ك	%	ك	%
04-00	2	0.83	-	-
08-04	10	4.17	42	16.93

39.51	98	41.67	100	**12-08**
24.19	60	10	24	**16-12**
19.35	48	27.5	66	**20-16**
-	-	15.83	38	**24-20**
100	248	100	240	المجموع

من الجدول نلاحظ أن متوسط مدة إرضاع الذكور بلغت 14.27 شهرا فحين متوسط مدة إرضاع الإناث بلغت حوالي 11.84 شهرا هذا يعني أن الذكور يؤخر فطامهم عكس الإناث.إذ نجد أن أكثر من نصف الإناث فطمن قبل بلوغهن سنة كاملة من العمر بنسبة 56.45 % في حين الذكور 43.33 % فطموا بعد سنة ونصف من ولادتهم وهذه النتيجة تبين التميز في الرضاعة والفطام حسب جنس الأبناء.لا أنه أقل حدة عند الأمهات المتعلمات و المنخفضات في السن.

فالولد/الذكر إلى يومنا هذا يحضى باهتمام بالغ الأهمية، وحب كبير منذ ولادته وفي مختلف مراحل تطبيعه حيث أن مجيئه للحياة يحتفل به، بإقامة السابع عكس الأنثى، كذلك يقام له فرح كبير عند ختانه وزواجه، والشيء الملاحظ أنه حتى اليوم في العائلات الجزائرية التي يمكن أن نقول عنها متحضرة وعصرية لا يزال عرس الذكر يحتفل به بإقامة وليمة بذبح الكباش والثيران...الخ، أما الأنثى فلا يقام لها نفس مستوى الحفل الذي يقام للذكر.

إذن فلا تمر مرحلة من مراحل حياة الذكر إلا وأقيم له فيها حفلا للتعبير عن قيمته ومكانته في المجتمع، أما البنت فهي أقل حظا من أخيها الولد، وقد نجد هذا التميز يمس كذلك حتى مرحلة الرضاعة أين يبقى الولد يتمتع بامتيازات دون أخته، حيث أن الرضاعة تكون من حق الولد أولا ويستمتع بوقت أطول من الرضاعة في حين يبقى حظ الفتاة من الرضاعة الطبيعية ضئيلا حيث تكون رضاعتها أكثر اصطناعية، ويبقى

هذا التميز عميقا في حالة ولادة طفلين توأم من كلا الجنسين حيث يرضع الولـــد أولا وتفطم البنت أولا. (1)

تحليل نتائج الفرضية الثانية والتي مفادها أن ارتفاع المركز الاجتماعي للأمهات يقلل من رغبتهن في إنجاب الذكور والتفريق في تنشئة الأبناء حسب الجنس.

جدول رقم-5- يبين علاقة المستوي التعليمي للأمهات

بجنس الطفل المفضل لديهن

جنس الطفل المفضل / المستوى التعليمي	الذكور		الإناث		لا فرق		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
أمي	30	34.88	24	27.91	14	16.28	86	100
ابتدائي	26	46.43	24	42.56	6	10.71	56	100
متوسط	26	65	10	25	4	10	40	100
ثانوي	8	22.22	14	38.89	14	38.89	36	100
جامعي	18	30	20	33.33	22	36.67	60	100
المجموع	108	41.54	92	35.38	60	23.08	260	100

من الجدول أعلاه نلاحظ أن أغلب المستجوبات يفضلن الأبناء من الجنس الـــذكري بنسبة 41.54 % تليها نسبة من تفضلن الجنس الأنثوي بنسبة 35.38 %،كما أن هناك نسبة معتبرة من الأمهات ليس لديهن جنس مفضل فما أعطاه الله نعمة وفضل.

وعند إدخالنا لمتغير مستواهن التعليمي لمعرفة تأثيره على هذه الآراء نجـــد أن النســـاء المتدنيات في المستوى التعليمي هن اللواتي تفضلن الذكور عن الإناث بنســـبة 65 % لذوات المستوى التعليمي المتوسط و46.43% لذوات المستوى التعليمي الابتـــدائي و34.88 % عند الأميات. فحين أن ذوات المستويات التعليمية العليا ليس لديهن

(1) Camille la Coste Dujardin. Des mère contre des femmes, éd. Bouchène, Alger, 1990, P51

تفضيل في جنس الطفل حيث نجد هذه الإجابة مثلت نسبة 38.89 % عند ذوات المستوى التعليمي الثانوي ونسبة36.67 % عند الجامعيات.

كما نجد هذا النوع من الإجابة تردد بكثرة عند النساء العاملات خاصة عند الإطارات العليا كما يبينه لنا الجدول رقم(6) أدناه حيث بلغت نسبتها عند الإطارات العليا 49.09% و50 % عند الإطارات المتوسطة. ومن الجدول نلاحظ كذلك أن الإطارات العليا نسبة هامة منهن تفضلن الإناث بنسبة45.45% في حين ربات البيوت أي النساء الغير العاملات أغلبهن تفضلن الجنس الذكري بنسبة 73.91 %

إن تنشئة الأنثى تتجه منذ الطفولة المبكرة إلى تلقينها الفكرة المتمثلة في كون المرأة المتزوجة أفضل من العازبة وكون المرأة التي لديها أطفال أحسن من المرأة العاقر، وتحظى بالاحترام أوفر، وأن التي تنجب أكبر عدد من الذكور تنعم بأعلى قدر من السعادة والحماية، فهذا النوع من التطبيع يجعل المرأة الجزائرية تحب في اللاشعور الإنجاب وخاصة إنجاب الذكور، لأنها ترى فيهم السعادة والحماية الفعلية فمهما بلغت من المستوى التعليمي والمالي إلا وبقى حلمهما الحصول على الولد خاصة الذكر أما غير المتعلمة فتعمل دائما على الإكثار منهم لتجد مرتبتها عند زوجها وأسرته والمجتمع ككل. وكأننا نعيش في دوامة من يخلق من؟ المرأة التي تخلق الولد أم الولد الذي يخلق وجودا لأمه، فالمرأة تضع وتخلق الولد/الذكر بيولوجيا وهو يخلق لها مكانة اجتماعية في المجتمع. إن الرؤية التي لا تعترف للمرأة بوجود آخر سوى ذلك الذي يرتبط بالزواج والأطفال، إذ تعيد إنتاج السلطة الذكورية تحت غطاء شرعية دينية التي تكرس قيم العرض والشرف العائلي يجعل الإنجاب قناة لإثبات ألذات واكتساب مكانة اجتماعية مرموقة

جدول رقم-6- يبين علاقة نوع مهنة للأمهات بجنس الطفل المفضل لديهن

جنس الطفل المفضل / المهنة	الذكور		الإناث		لا فرق		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
إطار عالي	3	5.45	25	45.45	27	49.09	55	100

إطار متوسط	5	12.5	15	37.5	20	50	40	100
عاملة بسيط	15	30	25	50	10	20	50	100
ربت بيت	85	73.91	27	23.48	3	2.61	115	100
المجموع	108	41.54	92	35.38	60	23.08	260	100

جدول رقم-7- يبين علاقة المستوي التعليمي للأمهات بمدى التمييز بين الأبناء

مدى التمييز / المستوى التعليمي	نعم		لا		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%
أمي	32	50	32	50	64	100
ابتدائي	20	52.63	18	47.37	38	100
متوسط	14	40	21	60	35	100
ثانوي	2	5.56	34	94.44	36	100
جامعي	-	-	55	100	55	100
المجموع	68	29.82	160	70.17	228	100

من الجدول أعلاه نلاحظ أنه كلما ارتفع المستوى التعليمي للأمهات انخفضت نسبة النساء اللواتي تميزن بين أبنائهن حيث باغت نسبة 100 % عند ذوات المستوى التعليمي الجامعي و94.44 % عند ذوات المستوى التعليمي الثانوي. والعكس صحيح حيث كلما أنخفض المستوى التعليمي للأمهات زادت نسبة التمييز في التربية بين الأبناء حيث مثلت نسبتهم 52.63 % عند ذوات المستوى التعليمي الابتدائي و 50% عند الأميات.

و عندما طرحنا عليهن سؤالا مفاده فيما يكمن التمييز والتفرقة بين الأبناء حسب الجنس ؟ وقفنا عند الجدول أدناه الذي يبين لنا أن أكبر نسبة من النساء المستجوبات اللواتي تميزن بين أبنائهن كان يكمن التمييز في الأكل بنسبة 23.53 % إذ صرحت لنا أنها تقدم الأكل الغني بالفيتامينات والوفير إلى الذكور، كما ذكرت نسبة 22.06 % أنهن يميزن بين أبنائهن في مختلف وأتفه الأشياء حتى في اللعب وفي حضنهم

...الخ. إن التفرقة بين الجنسين الذكور والإناث في بعض الأسر تحمل تناقضات كثيرة فهي إذا تقوم على إلغاء التنوع في الجنس البشري، وهذا الذي دفع بالأسر الجزائرية إلى المزيد من الإنجاب المتكرر حتى الوصول إلى الذكر. ومن جهة أخرى فالتربية التي تتلقاها الفتاة في أسرتها تهيئها وتشجعها على أن تكون أداة جنس للرجل وتعلمها كيف تكون جسدا فقط وكيف أن تكون زوجة مطيعة وربة بيت صالحة وهذا ما ذهبت إليه نوال السعداوي (1).

إن البنت في الأسرة الجزائرية توكل تربيتها إلى الأم، هذه الأخيرة تمارس سلطتها بحزم لإعدادها كي تكون أم وزوجة صالحة في المستقبل حيث يتم تلقينها قيم الحياة المترلية وطريقة معاملة الزوج وتلبية رغباته وطاعة أوامره ويتدربن كيف يصبحن أحسن أمهات مربيات للأطفال.

إن تربية الفتاة في مجتمعنا تجري انطلاقا من تصورات الأسرة الموروثة من صلب قيم ومعايير ثقافية أي ضمن هذا المفهوم حصرت قيمة الفتاة من الناحية الجمالية والجنسية وجعل هدف حياتها هو الزواج والإنجاب.

وحتى لما يكبران نلاحظ التميز في الأكل فالولد يختار له ويحتفظ له بالنصيب الأوفر والجيد من الغذاء عكس البنت.

هذه التربية التقليدية تقوم أساسا على التفرقة بين الجنسين وتفضيل الذكر على الأنثى. فلو ولد مولود ذكر في الأسرة تزغرد نساء العائلة ثلاث زغرادات رنانة مصحوبة بضجيج من الفرحة، وإذا كانت بنتا لا تسمع إلا عبارة لعنة أو كابوس. (1)

جدول رقم-7- يبين نوع التمييز بين الأبناء

نوع التمييز	ك	%
الحنان و الدلع	12	17.65

(1) نوال السعداوي . المرأة والجنس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1976، ص54

(2) Nafissa Zerdouni . Enfants d'hier, l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien , librairie française Naspero, Paris, 1970, P162

الأكل	16	23.53
اللباس	10	14.70
الأكل و اللباس	15	22.06
في كل شيء	15	22.06
المجموع	68	100

تحليل نتائج الفرضية الثانية والتي مفادها أن انخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة يزيد من رغبة الأمهات في إنجاب الذكور ويبلغن في عملية التفريق في تنشئة الأبناء.

جدول رقم-**8**- يبين سبب الرغبة في إنجاب عدد الذكور أكثر من عدد الإناث.

السبب	ك	%
السترة والمركز	70	58.33
الحرية التي يتمتع بها	6	5
الاعتماد عليه في المستقبل	22	18.33
جنس لا يتعرض للظلم	22	18.33
المجموع	120	100

من الجدول نلاحظ أن أغلب النساء المستجوبات اللواتي يرغبن في إنجاب الذكور أكثر من الإناث كان سبب ذلك هو حفظ اسم العائلة والمركز الذي تتحلى به إذا ما ارتفع عددهم وكانت هذه النسبة من الإجابات 58.33 % مقابل نسبة بسيطة 5 % ممن اجبن بان سبب هذه الإجابة هو الحرية التي يتمتع بها الجنس الذكري بمجتمعنا. من جهة أخرى نجد الأمهات اللواتي رغبن في إنجاب عدد من الإناث أكثر من الذكور كان سببه هو ألحنية والطيبة التي تتميز بها البنات مع والديهما ومثلت هذه الإجابة نسبة 75.61 % كما يبينه الجدول التالي رقم(9).

فعملية التحول الاجتماعي التي عرفتها الجزائر منذ حوالي 20 سنة الماضية تكمن في تحرر العائلة، نتيجة المكتسبات والمنجزات التي حققتها المرأة منذ أن دخلت الميدان الثقافي والسياسي وكسرت القيود لتدخل المصنع والجامعة أعادت إلى الأذهان دورها

المجيد في العصور الماضية الناصعة، فلم تعد تلك المرأة أو الزوجة المنعزلة والمتحفظة أمام الرجل رغم أن ارتقاءها لا يزال مترددا في كثير من المجالات، لكن المهم هو أن المرأة في الجزائر ارتفعت في يومنا هذا على الأقل إلى مستوى الكفاءة التي تساوي كفاءة الرجل من حيث التحكم في المحيط الخارجي والدليل على ذلك أنها أصبحت تحتل مراتب عليا. فالمرأة الجزائرية بدخولها لميدان العمل واقتحامها أبواب التعليم وانخراطها في ميدان السياسة، ومشاركتها في عملية التحول الاجتماعي أثبتت بكل ذلك جدارتها في كثير من المجالات الثقافية والسياسية والاقتصادية فكسرت القيود القديمة التي حاولت أن تعرقل سير تقدمها، فسارت جنبا مع الرجل في مجال تطور الحياة العائلية السعيدة.

جدول رقم-**9**- يبين سبب الرغبة في إنجاب عدد الإناث أكثر من عدد الذكور.

السبب	ك	%
حب البنات	4	4.88
التساوي مع الذكر	4	4.88
الاعتماد عليها في المستقبل	6	7.32
الحنان والطيبة	62	75.61
المجموع	82	100

جدول رقم-**10**- يبين علاقة دخل الأسرة برأي الأمهات في جنس الطفل المكلف أكثر من الناحية المادية لوالديه

الجنس	الذكور		الإناث		كلاهما		المجموع	
الدخل/دج	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
أقل من **10000**	20	58.82	6	17.65	8	23.53	34	100
20000-10000	18	29.03	16	25.81	28	45.16	62	100
30000-20000	22	26.83	32	39.02	28	34.15	82	100
40000-30000	14	30.43	16	34.78	16	34.78	46	100

أكثر من **40000**	8	22.22	2	5.56	26	72.22	36	100
المجموع	82	31.54	72	27.69	106	40.77	260	100

من الجدول نلاحظ أن أغلب النساء المستجوبات ترين أن تكلفت كلا الجنسين مرتفعة بنسبة 40.77% مقابل 31.53 %ذكرن أن تكلفة الذكور ماديا مرتفعة و27.69 % ذكرن أن تكلفة الإناث أغلى، وعند إدخالنا لمتغير دخل الأسرة لمعرفة تأثيره على هذه الآراء نلاحظ أن النساء الفقيرات أي ذوات الدخل الأسري الأقل من الأجر الأدنى القاعدي 10000دج ترين أن الذكور هم أكثر كلفة بنسبة 58.82 % واللواتي تنتمين لأسر متوسطة الدخل ترين أن الإناث هن الأكثر كلفة بنسبة 37.75 % في حين نجد الغنيات أي ذوات الدخل المرتفع ترين أن كلا الجنسين تكلفتهم غالية بنسبة 72.22 % وهذا لان أبنائهم يرتكزون في معيشتهم على الكماليات عكس أبناء الفقراء فمعيشتهم تقتصر على الضروريات فقط.

يعتبر المستوى المعيشي للأفراد من العوامل الاجتماعية الاقتصادية المؤثرة على بعض الظواهر من بينها الخصوبة لأنها تعكس وضع الأفراد في التعليم، العمل، السن عند أول زواج...الخ. فالفقراء كثيرا ما يوصفون بالإبكار بالزواج الأول، وانخفاض المستوى التعليمي وصعوبة الحصول على وسائل منع الحمل، وحتى العوامل التي تحدد فارق المجال وقيمة الطفل. حيث أن الطفل يعتبر عنصرا منتجا في العائلة الفقيرة إذ أن الفقير يعتمد على أطفاله في بعض الأعمال، لذا يسرف في الإنجاب، وتكون تكلفة الطفل عنده بسيطة لأنه يرضى بالكفاف. ومن المسلم به أن الأسرة الفقيرة كلما كانت كثيرة العدد كلما كانت أرهب جنبا وأعز شأنا. لذا نجد ارتفاع معدل الولادات والخصوبة في هذه الأسر. ولكن مع مرور السنين والزمن تغيرت الأفكار والثقافات وتغيرت أيضا المعطيات الاقتصادية والاجتماعية فتحول النظام الزراعي إلى النظام الصناعي، الذي قضى على القيمة الاقتصادية للأولاد. فبعدما كان الطفل رمزا للدخل والسعادة في الأسرة أصبح عبئا على والديه. وبظهور تشريعات جديدة تمنع تشغيل الأطفال، تقلص حجم الأطفال في الأسرة الفقيرة كذلك، عكس الأسر الغنية التي يختلف تقييمها لتكاليف الطفل وفوائده عن الفقراء فهؤلاء يعتبرون أن فوائد الطفل تفوق تكاليفه.

لهذا نجد أن أكبر نسبة من الغنيات ترى أن تكلفة الأطفال مهما أختلف جنسهم مرتفعة.وهذا النوع من الإجابات وجدناه بكثرة عند القاطنات في فيلات بنسبة 64.82 % والقاطنات بشقق بنسبة 42.24 % عكس القاطنات في البيوت القزديرية والتقليدية فأغلبهن ترين أن تكلفة الذكور ماديا أغلى من تكلفة الإناث بنسبة 80.77 % و 45.31 % على التوالي كما يبينه الجدول التالي .

جدول رقم-11- يبين علاقة نوع السكن برأي الأمهات في جنس الطفل المكلف أكثر من الناحية المادية لوالديه

الجنس / نوع السكن	الذكور		الإناث		كلاهما		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
فيلا	9	16.67	10	18.52	35	64.82	54	100
شقة	23	19.82	44	37.93	49	42.24	116	100
بيت تقليدي	29	45.31	15	23.44	20	31.25	64	100
بيت قزديري	21	80.77	3	11.54	2	7.69	26	100
المجموع	82	31.54	72	27.69	106	40.77	260	100

يعتبر وجود الأطفال في الأسرة الجزائرية رمزا من رموز السعادة وخاصة إذا كانوا ذكورا، فهم علامة للرجولة والعظمة والاعتزاز فهم بذلك استثمار جد هام في العائلة لأنهم يحسنون من الوضعية الاقتصادية للأسرة وهم ذخر لآبائهم في شيخوختهم، لهذا لما طرحنا على مبحوثات سؤالا مفاده من هو جنس الذي كان يعول عليه في المستقبل الأبوين في الماضي أجابت بالأغلبية الساحقة الذكور وذلك بنسبة 96.15 % والبقية أجابة على أنه كلا الجنسين كان يعتمد عليهما عند كبر الأبوين في الماضي بنسبة 3.85 % وللعلم أنه ولا مبحوثة ذكرت أن الإناث كان يعتمد عليهما في الماضي. ولما أعدنا طرحنا للسؤال لكن في الوقت الحاضر أي على أي جنس أصبح الولدين يعتمدون في المستقبل ؟ ذكرت نسبة 40 % أنهم الذكور ونسبة 34.61 % إناث ومن هذه النتيجة نلاحظ تغيرا جذريا في رأي الأمهات في جنس الطفل المعتمد عليه في

المستقبل فنسبة كبيرا منهن ذكرن أنهم الإناث وأخرى بنسبة 25.38 % ذكرن أنه كلا الجنسين أصبح يعتمد عليهم في الوقت الراهن كما هو مبين في الدول أذناه. فنظرا لقلة الاتصال الريفي سابقا بالمجتمع الخارجي فالريفي كان يحتاج إلى شريكة له منذ الصغر، ويبكر بالزواج حتى تساعده زوجته في إعالة المترل بالعمل معه جنبا إلى جنب في الحقل، فالمجتمعات غير الصناعية أي النامية تتطلب مجموعة واسعة لأوجه النشاط في الإنتاج والاستهلاك والمساعدة في أوقات الأزمات والمحن والكبر وغيرها، لهذا يعتمد كثيرا فيها على الأطفال بحيث تنمو في هذه المجتمعات مجموعة من القيم تدعو إلى الاعتماد عليهم. ففي هذه المجتمعات كانت الحاجة ملحة إلى اليد العاملة، خاصة في فترات الحصاد والحرث لذا فقد احتل الأطفال أيضا قوة هامة من أجل العمل وتوفير القوت لأفراد أسرهم لذلك يلتحق الأطفال منذ سن مبكرة بالعمل: السادسة أو الثامنة للقيام بالحراسة والحرث والبذر...الخ. ومنه فهم يحبذون الأسرة الكبيرة للظروف الاجتماعية والاقتصادية المحيط بهم والتي تجبرهم على ذلك. ولكن مع تطور الزمن وانتشار التحضر بمختلف المناطق أصبح الاعتماد على الأبناء أقل و يدمجون البنات في الاعتماد عليهن في المستقبل نظرا للمساواة التي باتت تحتلها مع أخيها الرجل. حيث ذكرت العديد من النساء المستجوبات اللواتي ذكرن أن جنس الطفل الذي يعول عليه في المستقبل تغير و عددهن 138. المسؤولية التي باتت تتحملها الأنثى كالذكر هي السبب في ذلك بنسبة55.07 % و15.22 % ذكرن أن المساواة و الحرية التي أصبحت المرأة تتمتع بها جعل إباءهم يعتمدون عليها هي الأخرى كما ذكرت نسبة 14.49 % أن حنية البنت هي التي كانت من وراء إجابتهن.

جدول رقم-12- يبين جنس الطفل الذي يعتمد عليه في الكبر

الرأي	في الماضي		في الحاضر	
الجنس	ك	%	ك	%
الذكور	250	96.15	104	40
الإناث	-	-	90	34.61

كلاهما	10	3.85	66	25.38
المجموع	260	100	260	100

وفي الأخير ولما طرحن عليهن سؤالا مفاده أي الجنسين تفضل أن يتعلم أكثر أجابت الامهات بالأغلبية الساحقة أنهن تردن أن أبنائهن يتعلمون مهما كان جنسهم بنسبة 53.07% و نسبة معتبرة كذلك فضلت أن تكملن بناتهن التعليم بنسبة 24.62 % و22.31 % ذكرت أنها تفضل تعلم الذكور أكثر منه تعلم الإناث هذا النوع من الإجابة يغلب عند الامهات الأميات في الغالب وهن اللواتي ذكرن أنهن تفضل مكوت المرأة في البيت وتربيت الأبناء فقط بنسبة 23.08% مقابل نسبة 76.92% ذكرت أنها تفضلن عمل المرأة خارج البيت مع الحفاظ على سعادة بيتها.

الخلاصة :

إن انخفاض الخصوبة يقترن إذا كما لاحظنا بدرجة التحضر ويرجع الأثر العكسي للتحضر على الخصوبة إلى انخفاض القيمة الاقتصادية للأطفال في الحضر وارتفاع مستوى التعليم، مما قد يؤخر من سن الزواج إلى سنوات متقدمة من العمر ويزيد من الإقبال على برامج تنظيم الأسرة التي تتوفر خدماتها بشكل أفضل في الحضر وارتفاع مستوى الصحة نظرا لنمط الحياة والعمل بها، وما يرتبط به من ارتفاع في مستوى تطلعات الأفراد للرقي الاجتماعي وتحسين مستواهم المادي.

ورغم حدوث العديد من التغيرات الاجتماعية في الجزائر خاصة فيما يتعلق بوضع المرأة، إلا أنه مازال هناك ميل نحو تفضيل إنجاب الذكور في الأسرة الجزائرية وهذه النتائج المتوصل إليها تشبه نتائج المسوح الأسرية المقامة بالجزائر فحسب نتائج المسح الجزائري حول صحة الأم والطفل 1992 من بين السيدات اللاتي أعلن أنهن قادرات أو راغبات في الإنجاب 33% يفضلن مولودا ذكر و24% يفضلن مولود أنثى كما أنه من بين السيدات اللاتي أعلن أنهن قادرات وراغبات في الإنجاب، وليس لديهن

أطفال أحياء نجد 21% تفضلن مولود ذكر مقابل 8% (1) فقط تفضلن مولود أنثى طبعا. لكن في التحقيق الأخير المسح الجزائري حول صحة الأسرة 2002 إنخفضت هذه النسبة إلى 14,5% تردن طفل من جنس ذكر و12,3 تردن طفل من جنس أنثى(2)

إننا نلاحظ حسب التحقيقات أن تفضيل الذكور يكون أكثر عند عدم وجوده في الأسرة أو انخفاضه عن عدد الإناث، هذا لأن البناء الاجتماعي للأسرة الجزائرية هو بناء للأسرة الأبوية حيث يمثل فيها الذكور مركزا أعلى وقوة اقتصادية واجتماعية للعائلة، ويحقق الأبناء الذكور نوعا من الضمان الاجتماعي لوالديهم، لأنهم يكونون مسئولون عنهم في الكبر في حالة المرض والشيخوخة، وتبقى الذكورة رمزا للقوة والهيبة في العائلة، وغالبا ما تكون الرغبة والبحث عن الذكر هدف أساسي في إنجاب سلالة كبيرة.

وبالنسبة للمرأة الأم فالأطفال خاصة الذكور لا يشكلون فقط تأمينا اجتماعيا، وإنما كذلك أداة ثمينة لإثبات هويتها الأنثوية واكتساب الاحترام والاعتراف الاجتماعيين داخل الأسرة والجماعة في آن واحد، فالتبعية الاقتصادية للنساء تجاه الرجال تجعلهن عند التفكير في مخاطر المستقبل وسبيل تأمين شيخوختهن أمل إنجاب الذكور الشيء الذي يجعل معدل خصوبتهن أعلى مما لو كان السند منتظرا من الجنسين على السواء . ناهيك عن إحساس الرجل برجولته واطمئنانه عند إنجابه الذكر أي من يحمل اسمه ويحفظ ملكه...الخ.

---

(1) وزارة الصحة والسكان وآخرون. المسح الجزائري حول صحة الأم والطفل1992، الجزائر، 1994 ، ص 267

(2) Ministère de la santé de la population et de la réforme hospitalière et autre. Enquête Algérienne sur la santé de la famille 2002, Alger,2004, P134

أطفال أحياء نجد 21% تفضلن مولود ذكر مقابل 8% (1) فقط تفضلن مولود أنثى طبعا. لكن في التحقيق الأخير المسح الجزائري حول صحة الأسرة 2002 إنخفضت هذه النسبة إلى 14,5% تردن طفل من جنس ذكر و12,3 تردن طفل من جنس أنثى(2)

إننا نلاحظ حسب التحقيقات أن تفضيل الذكور يكون أكثر عند عدم وجوده في الأسرة أو انخفاضه عن عدد الإناث، هذا لأن البناء الاجتماعي للأسرة الجزائرية هو بناء للأسرة الأبوية حيث يمثل فيها الذكور مركزا أعلى وقوة اقتصادية واجتماعية للعائلة، ويحقق الأبناء الذكور نوعا من الضمان الاجتماعي لوالديهم، لأنهم يكونون مسئولون عنهم في الكبر في حالة المرض والشيخوخة، وتبقى الذكورة رمزا للقوة والهيبة في العائلة، وغالبا ما تكون الرغبة والبحث عن الذكر هدف أساسي في إنجاب سلالة كبيرة.

وبالنسبة للمرأة الأم فالأطفال خاصة الذكور لا يشكلون فقط تأمينا اجتماعيا، وإنما كذلك أداة ثمينة لإثبات هويتها الأنثوية واكتساب الاحترام والاعتراف الاجتماعيين داخل الأسرة والجماعة في آن واحد، فالتبعية الاقتصادية للنساء تجاه الرجال تجعلهن عند التفكير في مخاطر المستقبل وسبيل تأمين شيخوختهن أمل إنجاب الذكور الشيء الذي يجعل معدل خصوبتهن أعلى مما لو كان السند منتظرا من الجنسين على السواء . ناهيك عن إحساس الرجل برجولته واطمئنانه عند إنجابه الذكر أي من يحمل اسمه ويحفظ ملكه...الخ.

---

(1) وزارة الصحة والسكان وآخرون. المسح الجزائري حول صحة الأم والطفل1992، الجزائر، 1994 ، ص 267

(2) Ministère de la santé de la population et de la réforme hospitalière et autre. Enquête Algérienne sur la santé de la famille 2002, Alger,2004, P134

قائمة المراجع :

1-السعداوي نوال. المرأة والجنس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1976.

2-وزارة الصحة والسكان وآخرون. المسح الجزائري حول صحة الأم والطفل1992، الجزائـــر، 1994.

3- Dujardin Camille la Coste. Des mère contre des femmes, éd. Bouchène, Alger, 1990.

4- Ministère de la santé de la population et de la réforme hospitalière et autre. Enquête Algérienne sur la santé de la famille 2002, Alger,2004.

5 - Zerdouni Nafissa. Enfants d'hier, l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien , librairie française Naspero, Paris, 1970.